ناصـــــرى وإخوانـــــــى

- أحمد رائف كتب قصائد غزل فى عبد الناصر ،
- ووصف حسن البنا بالكاهن الأكبر .
- استمرت رسائله للمباحث بعد خروجه من السجن وهجرته إلى عالم الدولار .
- كتب بخط يده :

١- الإخوان مجانين وقادتهم أئمة تكفير .
٢- اعترفوا لى بالقتل والتخريب والجهل .
٣- استغلوا الدين لأغراض سياسية ودنيوية .
٤- حرب هؤلاء الأوغاد واجب على كل مسلم عاقل .
٥- اللهم باعد بينى وبينهم حتى يوم القيامة .

ناصـــرى وإخوانـــى

فى السجن يمكن أن يرغمك الجلاد على توقيع اعتراف بالقتل .. لكنه لا يملك إجبارك على كتابة قصيدة حب .

إنه يمتلك الكرباج وليس الوحى .

والخطابات الشخصية جدا التى كتبها زعماء الإخوان للمباحث ، لم يطلبها منهم أحد .

قد يزعمون أنهم أكرهوا عليها خوفا من عبد الناصر والجلاد والكرباج .. ولكنهم استمروا فى كتابتها بعد مجيئ السادات واحتمائهم بعباءة النفط والدولار .

كلها بخط يدهم .. حروف ثابتة غير مهتزة من الخوف .. وإمضاءات وتوقيعات لا يمكن ادعاء تزويرها .

" إلى روح المرحوم الأخ جابر رزق المجاهد المسلم الذى عاش حياته يدعو إلى الله على بصيرة ، وتحمل المحن والشدائد ، ولم يغير ولم يبدل ، ووافاه الأجل فى بلاد غريبة ، ثم رقد فى سلام بجوار أستاذه عمر التلمسانى ، المرشد العام الثالث لجماعة الإخوان المسلمين ، حيث ينعمان بالرضوان ، والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ، سلام عليكم بما صبرتم ، فنعم عقبى الدار " .

هذا ما كتبه أحمد رائف " موديل ١٩٩٥ " .. وهو الآن نجم زعماء الإخوان المسلمين ، أنشأ دارا للنشر للدفاع عنهم وطبع كتبهم وتبنى قضاياهم .. والفقرة السابقة وردت فى مقدمة كتابه " سراديب الشيطان ، الطبعة الأولى ١٩٨٩ .

وفى " مؤخرة " الكتاب كتب يقول " أن عبدالناصر لم ينج من لعنة التاريخ رغم كل ما يقوله الناصريون ، وأن لعنة الشهداء والمعذبين سوف تطارد سيرته وتاريخه ، وهى محل حساب وعقاب من الله .. عبث بمقدرات أمة . وقتل العزة والكرامة فى نفوس أبنائها .. وصنع نظاما اعتمد الدعارة وسيلة وطريقة للحكم والسيطرة .. ولم يترك مصر إلا بعد أن أخضعها لإسرائيل خضوعا لا رأى فيه ولا كرامة ، وكان غاية همه السيطرة على أفراد شعبه المساكين . وماذا كانت النتيجة " ؟ .

وأحمد رائف صورة طبق الأصل من معظم زعماء الإخوان .. خرج من المعتقل فى أوائل عام ١٩٧١ ، ثم جرفه تيار الهجرة إلى بلاد النفط ، وعاد بعد سنوات منتفخا بالدولارات واللعنات .. وملأ الدنيا ضجيجا بويلات السجن والتعذيب ، وأصدر كتابا ثانيا بعنوان " البوابة السوداء " ، وقاد حملات الإخوان وبلاغاتهم حول مزاعم التعذيب الذى تعرضوا له فى المعتقلات .

من هو ؟ وما حكايته ؟

أحمد رائف عبد الحميد . من مواليد ٧ ديسمبر ١٩٤٠ .. حصل على التوجيهية فى أوائل الستينات ، والتحق بكلية التجارة غير أنه لم يستكمل تعليمه وتم فصله لرسوبه ٥ مرات متتالية .. وتعرف فى ذلك الوقت على بعض أفراد جماعة الإخوان المسلمين مثل سمير سليمان الهضيبى ، محمد حسين الغنام ، محمد سليمان الهضيبى ، ضياء عباس الطوبجى ، ومحمود محمد حامد .. قبض عليه سنة ١٩٦٥ وكان من ضمن الذين حققت معهم .

ونظرا لأن أحمد رائف كان من هواة القراءة وسريع التحصيل ، فقد كلفه الإخوان بقراءة بعض الكتب وعمل ملخصات لها ، وعرضها فى الاجتماعات السرية التى يتزعمها يحيى أحمد حسين .. ثم بدأ يحضر اجتماعات الأسر ، وعند اعتقال تنظيم ١٩٦٥ تبين أن أحمد رائف كان مجرد أداه ، وأنه قبل القيام بهذا العمل ليضمن الإقامة فى منزل سمير الهضيبى لأطول وقت ممكن ، ولم يقدم للمحاكمة .

والطريف أن أحمد رائف حكى الكثير عن الشخصيات الإخوانية ، يطالب بتعذيب الإخوان بهدف الحصول على معلومات عن نشاطهم وتأييدهم.. ووصلت به الجرأه أن قدم لمباحث أمن الدولة بحثا استند فيه على بعض الكتب الدينية ، مبررا التعذيب ، ومدعيا أن الإسلام يبيح تعذيب المتهمين ليجبرهم على الإدلاء باعترافاتهم .. وشاء قدره أن هذه الأوراق مازالت محفوظة حتى الآن .

ورغم ذلك فقد فوجئت بأحمد رائف يتقدم ببلاغ للنيابة يتهمنى فيه بتعذيبه .. وكتب عشرات المقالات فى صحف المعارضة عقب عودته من الخارج يتحدث فيها عن بطولاته مع الإخوان المسلمين .. الذين تعرضوا لمجازر وحشية فى سجون عبد الناصر .

وهو الآن يمتلك دارا للنشر إسمها " الزهراء للإعلام العربى " أنشأها بعد فترة سفره القصيرة ، وبعد أن ظهرت عليه مظاهر الثراء السريع فجأة.. واشترك معه الإخوان المسلمون فى تمويل هذه الدار ..

وأحمد رائف يعيش الآن على حلم " أن تعود البلاد إلى حالتها الطبيعية مثلما كانت أيام الرجعيين والباشوات والخديوى إسماعيل " .. هذا ماقاله بالحرف فى " سراديب الشيطان " وأضاف " هذه ليست سخرية ، فقد كان الشعب أحسن حالا فى حكمهم ، على الأقل لم يكن يسجن ويضرب وتلفق له القضايا " .

ويقول " أن الذين عاشوا محنة السجن والمعتقل من الصعب خداعهم . هذه هى مصر التى يعرفها المعتقلون فى طره ، فى ذلك المساء ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ ليلة مات الزعيم تلقينا خبر موته بارتياح بالغ ، وشكرنا الله كثيرا على هذه المنة " .

ويقول " والذى أذكره ولا أنساه أبدا أن الأيام الأخيرة لى فى المعتقل قد شهدت وسمعت جموع المعتقلين وهم يفخرون بانتسابهم إلى جماعة "الإخوان المسلمين " ، ويعلنون ذلك ولا يتبرأون منه " .

ريقول فقد لعن عبد الناصر وعهده بأعلى صوت ، وأعلن الكل تمسكه بشرف الانتماء إلى جماعة الإخوان ، ولتذهب التقارير إلى الجحيم ،

ولتذهب كل الأجهزة أيضا إلى الجحيم ، لقد صنعت هذه الأجهزة لهؤلاء الناس شيئا عظيما لم يكونوا ليقدروا عليه ، جعلتهم يؤكدون هويتهم .. وكانت العودة إلى الذات " .

ولسوء حظ أحمد رائف أنه كتب عشرات الخطابات الخاصة بخط يده .. قبل وفاة عبد الناصر وبعدها .. أثناء اعتقاله وبعد خروجه من السجن ، وحتى بعد سفره إلى الخارج .. فماذا قال زعيم الإخوان والمدافع عنهم .

الرسالة الأولى ..

" السيد فؤاد علام .. هذه الرسالة من صديق قديم تعرفه جيدا اسمه أحمد رائف يظنه البعض أنه من جماعة الإخوان المنحلة ، ولكنك تعرف تمام المعرفة أنه برئ من هذه التهمة البغيضة لأنك الذى أجريت معه التحقيق فى عام ١٩٦٥ وتعلم عنه كل شئ وتعلم أنه حتى لا يمكن أن يكون عضوا فى هذه الجماعة التى أساءت إلى مصر وإلى العالم العربى وإلى العالم الإسلامى ، لأن وجودها فى التاريخ قد أوجد ظلالا قاتمة على مفاهيم الإسلام السمحة " .

وبعد أن تحدث رائف عن لحظة استدعائه للسجن وكيف كنا نقدم له السندوتشات والسجائر طوال الوقت مضى يقول " إن علاقتى بالإخوان كانت علاقة ابتعاد وتنافر واحتكار للأفكار القديمة الغير واضحة التى كانت تدور فى رؤوسهم ، وأظن حضرتك تتذكر الكلمات التى وصفنى بها عبد الفتاح إسماعيل وأحمد عبد المجيد عبد السميع ، وكيف أننى اتخذت الفلسفة دينا وتركت الإسلام كما كانوا يقولون .. وكيف أن يحيى حسين قال لضياء الطوبجى أن أحمد رائف لو علم شيئا عن التنظيم فستكون نهايتنا .. فبالإضافة إلى أنه يكره الإخوان فهو يدين بالولاء لعبد الناصر ولو علم شيئا فلن يتردد فى تبليغ المباحث العامة ، وفى هذا تكون الكارثة "

" كانت فترة وجودى بالسجن الحربى عذابا متصلا لوجودى مع هؤلاء الضعاف العقول من أصحاب الأخلاق السيئة "يقصد الإخوان" ، وكان خروجى من الحربى إلى معتقل أبو زعبل بمثابة إفراج لأننى كنت أظن أننى

تركت هؤلاء المجانين وإذ بى أفاجأ بأن هؤلاء من هؤلاء ، وكانت محنة قاسية ، ورأيت مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من سوء الإخوان والكذب والنفاق والجهل والتأخر ومحاولة جذب عجلة التاريخ إلى الخلف والعمى والتعصب .. وكان يقوم بهذا التعذيب جماعة الإخوان المنحلة الذين لم ألتق بهم قبل ذلك "

وأضاف وهو يصف الإخوان " لم أكن أتصور فى وقت ما أن يتركز مثل هذا السوء الخلقى والتخلف العقلى والتأخر الاجتماعى ، مثل ما رأيت متركزا فى هذه الفئة السيئة من الناس ، فكنت أدعو فى صلاتى - ومازلت أدعو إلى الآن - أن يباعد الله بينى وبين هؤلاء الناس إلى يوم القيامة .. وشغلت نفسى بتتبع تاريخ هؤلاء الناس من أفواه الأشخاص الذين صنعوه، وهالنى ما سمعت من قصص مثيرة عن القتل والتخريب والجهل والانحطاط، وكانت المرة الأولى التى أسمع منها مثل هذه الأشياء من أصحابها ، ولا أكذب عليك فقد كنت أظنها قبل ذلك من قبيل الدعاية ، فلم أكن أتصور أن يدعى الناس الإسلام ثم يرتكبون هذه الفظائع "

" لقد تحرج كثير من الإخوان أن ينالوا حسن البنا كاهنهم الأكبر بالتجريح ، ولكن رأيى الذى كونته من ليالى السهر والقراءة والتحليل ، أن هذا الرجل قد شوه المفهوم الدينى ووضع بذرة خبيثة كشجرة خبيثة ما لها من قرار . وسيدينه التاريخ ويضعه مع الحسن الصباح وغيره من الذين أساؤا للإسلام عبر تاريخه الطويل "

" لقد فوجئت أننى وضعت فى عنبر ٢ ، فقد كان به أئمة التكفير ، وتألمت كثيرا لهذا الوضع ، ولكنى تجاهلت ذلك وقلت فى نفسى ، مزيد من كراهية ستتحقق من هذه المعاشرة .. ولا أريد أن أطيل عليك فى الحديث ، فقد كان وجودى فى المعتقل تأكيد لمعنى فى نفسى هو أنه يجب أن تسحق هذه الجماعة من أجل تقدم مصر والعالم العربى ، إن الفكر الذى يدعونه قالته الخوارج منذ مئات السنين ، ونظرة فى كتاب الملل والنحل للشهرستانى ترينا أن من يقول بقول هؤلاء المعتوهين إنما هو خارج على الإسلام يجب قتاله .. ويقول إبن تيمية - وهم يعتبرونه أستاذا لهم - أنه يجب قتل هؤلاء الناس أينما وجدوا ولا يقبل منهم صلح أو عهد "

وتضيف رسالة أحمد رائف المكتوبة بخط يده " إنك تعرف أننى أبنى هذه الأراء على الدراسة والوعى والفهم ، وليس على النفاق والتملق ، ولا يوجد إنسان عاقل يشك فى أن جمال عبد الناصر قد قدم لمصر الكثير من المشاريع الجبارة التى تخرج من التخلف إلى أعلى الذرى ، وكل إنسان له عينان – يبصر الأشياء التى يقدمها عبد الناصر لخدمة الإسلام ونشر الدعوة الإسلامية فى أفريقيا وكل مكان " موقعه فى ٢٨ مايو ١٩٧٠

الرسالة الثانية ..

مكونة من ٧ صفحات فولسكاب ، يشرح فيها أحمد رائف موقفه من قضية إسرائيل والاستعمار الأمريكى وموقفه من علاقة مصر بالاتحاد السوفيتى والاشتراكية العربية ، ونظام الحكم الحاضر والسيد رئيس الجمهورية .

ونلتقط منها هذه الفقرات .

" ومنذ أول لحظة قامت فيها الثورة المصرية وهى تسير سيرا حثيثا فى طريق الاشتراكية .. إشتراكية من نوع خاص تتلاءم مع ظروف مصر وتراثها العريق .. وهذا ما حققه بعبقرية عبد الناصر . فهل لى بربك يا سيادة المدير ، هل يمكن لأحد أن ينكر هذا الفضل ؟ اللهم إلا إذا كان حاقدا موتورا كارها لوطنه .. وحاشا لله أن أكون كذلك "

" لقد اطلعت على تاريخ مصر جملة وتفصيلا ، وأدرك أن هذه هى أول حكومة مصرية وطنية من صميم شعب مصر تحكم البلاد منذ قرون طويلة . وهى تعمل من أجل تغيير موقع مصر إلى مصاف المجتمعات المتقدمة فى العالم .. لقد درست كتاب " فلسفة الثورة " لسيادة الرئيس عبد الناصر .. وعشت مع سياسته ساعة بساعة ، والمواقف البطولية العظيمة التى رفع بها رأس مصر عاليا فى الدوائر العالمية .. والرئيس عبد الناصر يعبر عن أفكارى وآمالى من أجل تقدم مصر وازدهارها .. إن الأفكار العظيمة التى أدين بها يحولها عبد الناصر إلى حقائق يلمسها كل إنسان ، وليس أمامى وأمام كل المصريين والعرب سوى الالتفاف حول هذا الزعيم العظيم من أجل كل تقدم "

" لا تناقض بينى وبين مصر التى يمثلها عبد الناصر أصدق تمثيل ، وإنما التناقض كل التناقض مع جماعة الإخوان المنحلة بجمودها السخيف الغبى ، الذى فقد الشرف والخلق والضمير ، وهو يسير كسرب من الببغاوات تردد شعارات لا تفهمها ولا تعيها ، ورؤساؤها أصحاب الأطماع فى الجاه والسلطان والسيطرة ، وليذهب الدين الإسلامى - الذى يدعون الانتساب إليه وهو منهم برئ - إلى حيث يذهب "

" أقر حقيقة لسيادتكم أكون مسئولا عنها أمام الله والتاريخ وأمامكم ، أن هذه الجماعة المضلة لم أكن لحظة واحدة فى حياتى منتميا إليها .. لقد قضيت معهم خمس سنوات ، لم أر منهم خيرا أبدا ، بل رأيت ما ملأ قلبى كراهية لهم إلى الأبد .. وكثيرا ما بينت لهم فساد أرائهم وأفكارهم وكيف أنهم منحطوا الخلق منعدموا الضمير ، وأرادوا أن يستغلوا الدين لأغراض سياسية فتخلى عنهم الدين " موقعه فى ١١ يوليو ١٩٧٠

سبتمبر ١٩٧٠ .. مات عبد الناصر

يقول أحمد رائف فى كتابه سراديب الشيطان " كانت وفاة عبد الناصر فجأة بمثابة تأكيد الأمل والثقة فى قدرة الله وقدرته ، فى نفوس قد أضناها العذاب والشوق إلى العدل ، ذلك الوهم الذى لا تراه إلا عبر رؤى مبهمة تأتى فى الليل ، الذى كثيرا ما سمع أنات العذاب أو شهقات المحتضرين ، فى ساحة قد ملئت بالكلاب والضباط الذين باعوا شرفهم ودينهم ، ثم ضربوا بالأحذية فى صيف قائظ على رمال سيناء سنة ١٩٦٧ "

ولكن الغريب أن أحمد رائف فى ذلك الوقت كتب قصيدة طويلة بعنوان " سوف يبقى خالدا بين الضمائر " مكونة من ٥٩ شطرا ، أرسلها إلى جريدة الجمهورية لنشرها .. وقال فى الخطاب المرسل للسيد رئيس تحرير الجمهورية " أتقدم لكم ولأسرة تحرير الجريدة بتعزية قلبية فى مصاب مصر الفادح ، إذ فقدت أغلى أبنائها وهو يناضل ويكافح كأعظم ما يكون النضال وأشرف ما يكون الكفاح من أجل مستقبل مشرق لمصر والعرب "

أما قصيدته الرائعة فتقول:

عندما تمشين بين بنيك فى درب حزين ..
صنعته أنات تهاوت كالصدى بين الرنين ..
أين أنت الآن ، يا أماه يا مصر الحبيبة ؟
كيف وصل الحزن يا أماه فى الدار الرحيبة ؟
فى متاهات الأسى عبر الزمن ..
بين شطآن الضياع
فى بكاء من تاريخ المحن ..
عندما يأتى إليك الصوت جبارا وقادرا
يسحق الأنفاس والأرواح فى ظل المقابر
قد مات ناصر !
أيموت ناصر ؟
لا .. لا أصدق
أعظم البناء والبكرى بين بنيك مات ..
ومضى كما يمضى النشيد الحلو عبر الأمسيات ..
والقصيدة موقعة بتاريخ ٤ أكتوبر ١٩٧٠ .

وبعد ذلك بثمانية أيام " ١٢ أكتوبر " كتب أحمد رائف رسالة أخرى .. يقول فى بعض فقراتها :

" سيدى الفاضل فؤاد بك علام .. لا أريد أن أحدثك عما فعلته مع الإخوان فى هذه التجربة المريرة التى عشتها معهم .. ولكنى أقول لسيادتكم أننى ناقشتهم على مستوى عنبر ٢ ، وحاججتهم فى جوهر دعوتهم ومقارنة أهدافهم بما فعله زعيم مصر الراحل عبد الناصر طيب الله ثراه "

" لقد أعلنا حربا ضد الإخوان ، أحدثت تفككا وتزعزعا فى أوساطهم ، ولو قدر لنا أن تساعدونا بإمكانياتكم لكان لهذه المعركة شأن آخر .. فحرب الإخوان والقضاء عليهم ، وتأييد الحكومة ودعمها واجب على كل مسلم عاقل، يفهم المرحلة الحرجة التى تمر بها مصر فى تاريخها ، مرحلة الخروج من الظلمات إلى النور " .

" ليس عندى ما أقوله بعد ذلك سوى أننى فقدت باعتقالى الدخل وأعيش حياة نكدة ، أنا وأخى الموجود معنا بالمعتقل لضيق مواردنا أو قل لانعدامها .. وليس لى من باب - بعد الله - ألجأ اليه إلا بابك ، وإنى اؤكد لك بل وأعاهدك عهدا أسأل فيه أمام الله إذا حنثت فيه ، أن أكون مخلصا كل الإخلاص فى سرى وعلانيتى لكم ولمصر وللثورة " .

أوائل عام ١٩٧١ ، خرج أحمد رائف من السجن .. لم يمسك أحد يده ليرغمه على كتابة قصائد فى حب عبد الناصر والثورة ، أو سب الإخوان وقذفهم بأبشع الألفاظ .. لكنه يعيش فى منزله بشبين القناطر حرا طليقا .. ومن هناك كتب رسالته الثالثة :

" السيد اللواء ..

" كان لى شرف الاستماع لسيادتكم مرات عديدة أثناء وجودى بمعتقل طره السياسى ، وليس عندى من شك فى أن تسمع لمثلى ، وقد انقطعت موارد العيش منذ اعتقالى حتى الآن وهى فترة تربو على ست سنوات .. وفى الوقت الذى أقرر فيه لكم أننى أعتبر نفسى جنديا من أخلص الجنود فى مجتمع مصر الجديد الذى بدأ تشييده عبد الناصر العظيم - طيب الله ثراه - ويستكمل البناء الرئيس السادات بكل ما فيه من نبل ومبادئ وتضحية وإصرار على الوصول لأعظم الغايات "

" أرجو أن تتفضلوا بصدور أمركم الكريم بوضع حل لمشكلتى الصعبة التى جعلتنى فى حالة من الكرب أفضل الموت فيها على الحياة ، وهى إلحاقى بعمل حفاظا لكرامتى وصونا لى من مذلة السؤال "

ولم نترك أحمد رائف بل ساعدناه فى الحصول على عمل ونشر أعماله الأدبية فى الصحف ، وأيضا ساعدته فى الحصول على عمل خارج مصر وسافر إلى الأردن وأرسل خطابات عديدة من الخارج ، بعد أن فتح السادات الباب على مصراعيه للإخوان ، ولا يستطيع أن يزعم أنه تعرض لأية مؤثرات"

" أخى العزيز .. فؤاد بك "

دفعنى لكتابه هذا الخطاب شعور عميق بالخجل من كثرة مطالبى ومشاكلى وإلحاحى عليك .. ولكنك لو تعرف يا سيدى - ولا شك أنك تعرف - الظروف الصعبة التى أمر بها لعذرتنى .. فقد دفعتنى الحاجة الشديدة إلى بيع قطعة أرض ورثتها عن المرحومة أمى بأقل من نصف ثمنها وذلك لاحتياجى الشديد .. ولعلك تعرف أننى اندفعت بحماقة فى موضوع زواجى ودون تفكير عميق ..... فالحقيقة لم يعد لى فى العالم سواك ، فقد تنكر لى الأهل والأصدقاء .. وأطلب منك يا سيدى بما عرفته فيك من نبل خلق وإنسانية أحسستها عملا وليس قولا فى تصرفاتك المتسمة بالرحمة والمساعدة ألا تتنكر لى أنت أيضا "

" لست أدرى ماذا أفعل عندما تنفذ النقود التى معى فقد أوشكت .. فتكرم على يا سيدى بمكالمتين واحدة للأستاذ صلاح عزام[1] فإنى أخشى أنه لا يستطيع أن يقدم لى شيئا سوى الكلام .. ومكالمة لشوقى بك[2] فالمسألة طالت كثيرا وآن لها أن تنتهى على وضع .. وأؤكد لك أننى أدعو لك بإخلاص فى صلاة الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء .. والله على ما أقول شهيد "

وأول شيئ فعله أحمد رائف بعد عودته من الخارج هو أنه أصبح من أهم أعمدة الإخوان المسلمين .. وتقدم بشكاوى يتهمنى بتعذيبه فى السجن، ولكن النيابة حفظت هذه البلاغات لعدم جديتها .

إنه نموذج حى لزعماء الإخوان .. ورسائله الخاصة التى كتبها بخط يده، ستظل لعنة التاريخ التى لن ينج منها .

---

(١) صلاح عزام : الصحفى بجريدة الجمهورية والمشرف على الصفحة الدينية بها وهو أحد الأشخاص الذين طلبت منهم مساعدة أحمد رائف فى نشر بعض أعماله بجريدة الجمهورية.

(٢) شوقى بك : المقصود اللواء محمد شوقى منيس مفتش مباحث أمن الدولة بالجيزة والذى طلبت منه مساعدة أحمد رائف للحصول على عمل.

• نصوص خطابات أحمد رائف.